

بسم الله الرحمن الرحيم

توازن السماء والأرض من خلال التوازن بين الجنسين

د. شارون ج. ميجارز

ترجمة فريق الترجمة بالجمعية المصرية للبحوث الروحية والثقافية

وصف السيد المرشد حضرات عنايات خان كل دين من الأديان بالنوتة الموسيقية، وقال أنه طالما أن كل نوتة موسيقية جاءت من نفس المصدر الإلهي فإنها تتناغم مع بعضها البعض؛ لتصنع سيمفونية عظيمة، وهي السيمفونية الإلهية.

عندما ننظر إلي كل دين علي أنه تعبير متميز عن الله الخالق الغير محدود.. من الممكن وقتها أن نقدر عظمة وإبداع الخالق. وعندما تستطيع الإنسانية أن تقدر وتحترم الاختلافات التي تتسبب في الانقسامات بينها حينئذ يمكنها أن تتخطى العصبية والجهل، وكل القيود التي يفرضها عليها الفكر الأصولي. يمكننا حينئذ أن نفهم ونتبع المثالية العظيمة التي ضربها لنا الصوفي الورع ابن عربي (1164-1240)، الذي أوجد معادلة للارتقاء بهذا الشر داخل الإنسان حين قال:

لقد كنتُ قبل اليوم أنكر صاحبي	إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
وقد صار قلبي قابلاً كل صورة	فمرعى لغزلان وبيت لأوثان
ودير لرهبان وكعبة طائف	وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحبّ أنىّ توجهت	ركائبه فالحب ديني وأيماني

يتحدث ابن عربي بقلب مفتوح – قلب يبتهج بأي تعبير عن القداسة والجمال. عندما نفصل أنفسنا عن أبناء الأسرة الإنسانية نفصل أنفسنا عن وحدة الخالق. كل دين، كل عرق، كل تعبير عن الحياة يتجلي من خلال هذه الوحدة. الكثير من أبناء الديانات المختلفة في العالم تجاهلوا جوهر الرسالة الموجودة داخل كل دين. هذه الرسالة تسمى القاعدة الذهبية في المسيحية، وهذا المعنى الواسع عبّرت عنه كل الأديان، وفيما يلي بعض الأمثلة التي تدل على وجود هذه الرسالة منذ بداية الخلق:

الهندوسية: هذا يشمل كل الواجب: أن لا تفعل بالآخرين ما قد يسبب ألم إذا ما فعل بك (ما هابرتا 5 : 1517) (ترجمتنا)

البوذية: لا تعامل الآخرين بطريقة تجدها مؤلمة للتعامل معك. (بوذا، أودانا، فرجا 5 : 18) (ترجمتنا)

الكنفوشيسية: كلمة واحدة تلخص كل مبادئ العمل الصالح والمحبة والرحمة. لا تفعل بالآخرين ما لا تحب أن يفعل بك. (كونفوشيس، أنا لكت 15 : 23) (ترجمتنا)

الطاوية: انظر إلى مكسب جيرانك على أنه مكسب لك، وخسارتهم علي أنها خسارتك (لاو تزو تاي شانج كان ينج بين 213 – 218) (ترجمتنا)

الزرادشتية: لا تفعل بالآخرين ما هو مؤلم وجارح لك (شايست نا شايست 13.29) (ترجمتنا).

السيخ: أنا لست غريباً على أحد ولا أحد غريباً عني. أنا حقاً صديقاً للجميع. (ترجمتنا)

اليهودية: لا تفعل لجارك ما تكرهه لنفسك، هذه هي التوراة بأسرها أما الباقي فهو بمثابة تفسير (Hillel, Tahmud, Shabbat 31a) (ترجمتنا)

المسيحية: فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم. لأن هذا هو الناموس والأنبياء (يسوع، متى، الإصحاح السابع، 12)

وفي الإسلام: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" رواه بخاري ومسلم.

وشيء جدير بالذكر أن نشير إلى أن هذه الرسالة القديمة الموجهة للبشرية كلها لم تذكر أي شيء ضد دين آخر أو عرق آخر أو أمة أو جنس. ولا يكون هذا الاستنتاج سبباً لنا للشعور بالكراهية أو الاحتقار لغير المتدينين. كل إنسان هو جارنا، ونحن جيران لكل الناس. لماذا لا يستطيع أغلبية البشر فهم هذه التعاليم البسيطة؟

الإنسانية في خطر عظيم؛ لأننا ركزنا أكثر من اللازم على الاختلافات، ولم نركز علي المحبة والترابط الإنساني الذي يجمعنا مع بعضنا البعض ومع الحياة نفسها. الكثير من الناس يعطون أنفسهم الحق في احتقار أو إساءة معاملة الآخرين؛ لأنهم من أتباع دين آخر (لأن ليس لديهم نفس الاعتقاد)، وذلك لاعتقادهم الخاطئ أن كل من هو خارج دائرة دينهم يجب تدميره أو عزله. المتصوفة يعلمون أن المحبة الإلهية هي جوهر الحياة. عندما تتحد قلوبنا بالحب الإلهي، نعلم أن كل ما في الكون هو داخل طاقة المحبة الإلهية. فما أشد حاجة عالم اليوم إلى المتصوفة؛ لينشروا هذه الطاقة الشافية.. طاقة الحب.

الناس لديهم مفاهيم كثيرة في المحبة، ولكن لأي مدى تمتد هذه المحبة؟ القديس بول يتساءل في العهد الجديد، كورينثيانس 3-1:13 "

يتحدث المتصوفة الشعراء عن هذه المحبة الهائلة. ومع ذلك فنحن نعيش في عالم يبدو فيه أن النزعة لتدمير الآخر تتزايد وتتزايد في نفس اللحظة التي نتكلم فيها الآن.

عندما نسمع عن المتطرفين الذين يقتلون أو يهددون أن يقتلوا - باسم الدين - الآخرين غير المتدينين، يتضح لنا أن كثيرين ممن يدعون أنهم أتباع دين معين قد حجبوا قلوبهم عن الله - جوهر المحبة. عندما نسمع عن حوادث اغتصاب النساء، ثم معاقبة النساء المغتصابات بالضرب أو السجن أو القتل، لا يسعنا إلا أن نتساءل: أين المحبة؟ إلى أي مدى يقسو القلب ويتحجر؟ القلب القاس لا محالة منه إذا تم كبت الجانب الأنثوي في الرجل، وإذا كانت المرأة نفسها غير ظاهرة وشأنها محقر. فلنفكر في العنف والقهر الذي تسببت فيه طالبان حين سيطرت علي أفغانستان. النساء منعوا من الخروج، الموسيقى والفن حُرِّمًا، وأصبح الرجال قساة صارمين وقتلة.

الجانب الأنثوي مهم جدا لميزان الحياة. ومما لا شك فيه أن الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام كان يقدر زوجاته وبنته فاطمة. وفي حديث له يقول: "الجنة تحت أقدام الأمهات". الأمهات هن مستقبل الإنسانية. ولذا يجب تشجيعهن على عبادة الله، والمشاركة في الحياة بفطرتهن. وقد أثبتت البحوث أن التواجد المتساوي بين الرجل والمرأة في البرلمان يؤدي إلى نتائج مفيدة. وأثبتت البحوث أيضاً أن عدم المساواة بين الجنسين يعرقل تقدم المجتمع. وتم اكتشاف أن عدم المساواة في الحقوق والموارد والأصوات السياسية عادة يتضرر منه النساء، لكن في نفس الوقت يتضرر المجتمع كله ويعرقل التطور.¹ بالنظر إلى تهديدات الحروب الغامرة والكوارث العالمية، فلا شك في أن التحرك تجاه المساواة بين الجنسين بدأ ينتشر حول العالم. وترك لنا أنبيأؤنا الحكمة والقدوة للتعاطف. لماذا فشلنا في إنشاء عالم الرحمن والرحيم؟ هذه الكلمات لها علاقة بالرحم وبالتالي لها دلالة أنثوية. إذا ألغينا الأنثى.. ألغينا الروح.

¹ البنك العالمي لإعادة البناء والتطوير: البنك العالمي (2001). إنشاء التطور: من خلال المساواة بين الجنسين في الحقوق، والموارد، والأصوات. نيويورك: إعلام جامعة أكسفورد.